النماذج والمقاربات البيداغوجية (1) – المحاضرة 2 –

النماذج البيداغوجية

نزوع كل مجتمع لبناء نموذج بيداغوجي أو تربوي للمدرسة مع ادماج الخصوصيات الجهوية والمحلية أمرا مشروعا جدا وخصوصا في زمن العولمة، حيث يتنامى تدويل النماذج وتتسع هيمنة النماذج التي تعتبر فضلى أو ناجحة. كما يبدو النزوع نحو الاكتفاء بخصوصية النموذج التربوي أمرا لا يأخذ بعين الاعتبار ما تعرفه مجتمعات اليوم من انفتاح وتفاعل، وما تشهده المنظومات التربوية من تنافسية في الجودة والمردودية. وما تعرفه النظم المعرفية والتكوينية للمدرسة من تحولات عميقة مست العلاقة بالمعرفة. وبنيات التكوين ومواصفات وأدوار الفاعلين التربويين، وأنظمة التمويل والتقييم، ومعايير ضمان الجودة واستدامتها.(دفاتر التربية والتكوين 2017، 8)

مفهوم النموذج البيداغوجي

تعرّف معظم الأدبيات التربوية النموذج البيداغوجي بوصفه نسقا تصوري من النظريات المرتبطة بمجال التربية والتعليم. وفي هذا السياق انتج التفكير التربوي ثلاث نماذج بيداغوجية رئيسية؛ تتمثل في النموذج التلقيني، والنموذج السلوكي والنموذج البنائي. ويستند كل نموذج إلى جملة من التصورات الابستمولوجية والنظريات العلمية فيما يحص أليات التعلم وطبيعة المعرفة. (دفاتر التربية والتكوين 2017، 6)

يعرف النموذج البيداغوجي بأنه" مرتكزات الفعل التعليمي التعلمي، وغاياته ومضامينه، والمبادئ والخلفيات النظرية التي يقوم عليها، إضافة إلى ذلك ما يتضمنه من مناهج التربية والتكوين والمقاربات المعتمدة، وكل التكوينات وأنظمة التقييم والامتحانات.

كما أن النموذج التعليمي يمثل جوهر عمل المدرسة بمختلف مكوناتها، واساس قيامها بوظائفها في التنشئة الاجتماعية، والتعليم والتعلم والتكوين.(دفاتر التربية والتكوين 2017، 6)

ولابد من الاضارة إلى الالتباس الذي يحيط بمفهوم النموذج البيداغوجي، حيث يكثر استعماله في الأدبيات التربوية الحالية، خصوصا البحوث في مجال الديداكتيك والعلاقات التربوية. والنظم النعرفية للمدرسة بوجه عام. وعليه فالنموذج البيداغوجي هو " إطار عمل موجه لأجرأة العملية التربوية في جانبها التعليمي التعلمي. فهو نسق من القيم والغايات والموارد المعرفية، والوضعيات والعلاقات التربوية.(دفاتر التربية والتكوين 2017، 10) .

وكذلك فالنموذج البيداغوجي هو نسقا مفتوحا على مبادرة الفاعلين واجتهاداتهم، وعلى مستجدات البحث العلمي التربوي، مما يجعله أوسع من مجرد أهداف العملية التعليمية التعلمية.(دفاتر التربية والتكوين 2017، 10).

أنواع النماذج البيداغوجية

هناك العديد من النماذج البيداغوجية تتمثل في النموذج التقليدي القائم على نقل المعارف إلى أجيال المتعلمين، والذي يطلق عليه ب Modèle Transmissif ، أو النموذج الموسوعي والذي يقابل النماذج الحديثة من قبيبل النموذج البيداغوجي المتركز على التدريس بواسطة الأهداف ويطلق عليه ب Modèle Encyclopédique، أو النموذج السلوكي Modèle Behaviouriste، ونموذج التعليم المبرمج بواسطة الحاسوب والبرامج الرقمية والذي يطلق عليه Enseignement Programmée، والنموذج السوسيو- بنائي Modèle Socioconstructivisme . وسوف نقتصر في هذا المبحث على ثلاث نماذج بيدغوجية تم استعمالها بالمدرسة الجزائرية. (دفاتر التربية والتكوين 2017، 11)

المقاربات البيداغوجية:

يقول (Geslain, B, 2004) أنه في ظل التطورات الحديثة التي عرفها هذا القرن، والتطور الذي مس المناهج والبرامج والوسائل التعليمية، والمواكبة للتغيرات السريعة في مجال المعرفة، جاءت حتمية تحديث المناهج وتعديلها، بحيث تأخذ في الاعتبار القدرة على تحويل المعارف وتشكيلها بما يخدم وينفع الفرد والمجتمع، بحيث تنمي كفاءات تسمح له بالتكيف مع الواقع المعاش.

ومن ناحية أخرى فقد ذكرت(بدوي،2003، 328،330) أن تغيير المناهج، وتحديث محتوياتها بات أمرا مفروضا، خاصة وأن عولمة المبادلات تملي على المجتمعات تحديات جديدة لن ترفع إلا بالإعداد الجيد وبالتربية الناجعة للأجيال...

وفي هذا السياق قامت الجزائر بإصلاحات جذرية للبرامج التعليمية، كالتوجه في التعليم من المقاربة بالأهداف نحو المقاربة بالكفاءات بما من شأنها أن تدمج المدرسة الجزائرية في مجتمع عالمي يتسم بتدفق معرفي غير محدود، وهذا رغبة في لحاق ركب التجديد، والخروج من التخلف والتبعية...

ويلمس من هذه الأخيرة أن الهدف الأساسي هو تغيير منهج التدريس في المؤسسات التربوية وفقا للنموذج البيداغوجي المتبع ، من طريقة الحفظ والتلقين وما يترتب عنها من إلغاء لقدرات التلميذ العقلية، مما يجعله يعيش حالة "جمود فكري"...، إلى طريقة المشاركة في التعلم والتدريس، عبر تبني وضعيات بيداغوجية تجعل التلميذ في حالة "شك وريب"، يترتب عنها بحثه عن حلول، وهذا ينشط عملية التفكير عنده، ويساعد على تنمية كفاءة وقدرة تكيفه مع مناحي الحياة المختلفة، حيث يكون التعليم موجه نحو تنمية القدرات العقلية كالتحليل والتركيب، وحل المشكلات...(محمد، مصطفى السايح ،2003).

النموذج التقليدي أو الموسوعي:

تعتبر المعارف في النموذج التقليدي غاية في حد ذاتها، ويكون التدريس نشاطا لنقل المعرفة وشحن ذهن المتعلم بها. وبذلك كانت استراتيجيته الديداكتيكية قائمة على النقل والتراكمية للمادة العلمية والمعارف والخبرات، واعتبار العلاقة بالمعرفة محاكاة للنماذج الثقافية والفكرية والاخلاقية للمجتمع. (دفاتر التربية والتكوين 2017، 11)

كما أن هذا النموذج يمثل المفهوم التقليدي للتعليم (الذي يعتمد على التجربة فقط دون الأسس النظرية)، وهو يرتكز على مسلمتين أو افتراضين أساسيين هما حسب :

(http://bdp.ge.ch/webphys/recherche/trouve_detail.php?id=424, P1, 2)

- **الحياد المفاهيمي للتلميذ:** لم يكن للتلميذ في التعليم سابقا تصور شخصي بالموضوع المطروح للتعلم، حيث يصور العقل التلميذ كوعاء كبير فارغ مستعد للملء، أو تشبيع عقلة ككتلة شمع صافية يقوم المعلم بتشكيلها كيف ما يريد.

- **عدم تحريف وتحوير المعرفة المنقولة:** إذا قدم المعلم موضوع بالدرس بعرض واضح، وإذا استمع التلاميذ بانتباه مع طرح سؤال أو اثنين لتأكيذ الشرح والوضوح، فإنهم سيستوعبون الرسالة كما قدمت ونقلت لهم، ويتم تأكيد وحفظ هذه المعرفة الجديدة من خلال تدعيمها بمجموعة من التمارين اللاحقة لها.

- **دور المعلم:** الشرح والتوشيح الجيد للمعلومة.

- **دور التلميذ:** الاستماع بانتباه لشرح المعلم.

- **أخطاء التلاميذ:** ناتجة عن ضعف في الاستماع من طرفهم، أو في شرح سيء من طرف المعلم.

- **علاج الأخطاء:** من خلال إعادة شرح موضح لموضع الدرس، و/أو الاستماع بانتباه أكثر لشروحات المعلم.

ميزات هذا النموذج: التعليم المؤسس على هذا النموذج أكثر اقتصادا في وقت التعلم وفي ادوات التعلم. وهذا النوع مناسب كثيرا للمتعلمين المستعدين للتلقي بانتباه (كالتعليم الجامعي).

حدود النموذج: تعتمد على مصداقية الافتراضين السابقين:

- إذا وجد التصور الأولي غير مناسب للتلقي من طرف المتعلم، فأنه قد لا يمكن استيعابه ومن ثم لا يمكن الاحتفاظ بالمعلومات بصيغها ومعانيها السليمة في الذاكرة.

- كل ما يقوله المعلم ويشرحه لا يفهمه أو لا يستوعبه بالضرورة كل التلاميذ بنفس الطريقة بالقسم.

وقد عدد كل من (الرتيمي ولكحل، 2012، 95) أهم عيوب هذا النموذج، وهي كالأتي:

1-على مستوى البرامج التي تميزت بطولها وتعدد المسائل المقررة بالنسبة لكل المستويات التعليمية وفي كل المواد مقابل ضيق الوقت لإنجازها مما أدى إلى تذمر المدرسين.

2-على مستوى تأليف الكتب المدرسية، حيث تعاقبت أجيال من الكتب همها الوحيد استعراض المعارف، وتكريس الحفظ الآلي.

3-على مستوى تقييم عمل التلميذ؛ حيث ساد التقييم الجزائي والذي لا يستند أحيانا إلى مقياس أعداد واضح، والتقييم انطباعي (خاصة في المواد الأدبية والاجتماعية).

المقاربة بالمضامين:

أساس هذه المقاربة هو النموذج البيداغوجي الموسوعي أو التلقيني، غايتها الحصول على المعرفة، حيث يعتبر التعليم حسب (عطاء الله وآخرون، 2009، ص61-62) أنه قائمة من المحتويات لمواد يجب إكسابها للمتعلم، من خلال طرائق تربوية غير نشطة .وهي تركز بذلك على محتوى المادة المعرفية ومضمونها وكيفية تخزينها عند المتعلم أكثر منه على التركيز على مشاركة المتعلموقدراته في العملية التعليمية التعلمية.

فالبرامج التعليمية في هذه المقاربة كانت مبنية على المحتويات، أي ما هي المضامين اللازمة لمستوى معين، في نشاط معين. وهذا المحتوى هو المعيار ومنطقه التعليم والتلقين، أي ما هي كمية المعارف والمعلومات التي يقدّمها الأستاذ؟. وعليه فوظيفة الأستاذ في هذه المناهج هي فقط الأمر والنهي، وتلقين المعلومات. وبذلك تكون وظيفة التلميذ في هذا البرنامج هي فقط استقبال المعلومات.

والطريقة البيداغوجية المعتمدة في هذه المقاربة مبينة على طريقة التعميم والنمطية، من دون مراعاة الفروق الفردية للتلاميذ، أي أن كل التلاميذ سواسية، وفي قالب واحد، واعتبار درجة النضج لدى التلاميذ واحدة، ومن ثم اعتماد مسلك تعليمي واحد. كما أن التقييم يركز على اعتماد التقويم المعياري المرحلي، فهو تقييم تحصيلي، وفي العموم تقييم درجة تذكر المعارف وليس توظيف المعارف.

ومع انتهاج البلاد الإصلاح التربوي، حسب (الرتيمي ولكحل، 2012، 96)، والذي فرض تحديات ورهانات جديدة تستوعب الاستعداد لها بسرعة، حيث لم تعد هذه البيداغوجيا المتوخاة حينئذ في التدريس تتماشى مع التوجه التربوي الجديد، حيث كانت تكرس أولوية المعرفة النظرية، والمعلم في العملية التربوية على حساب التلميذ، وبدأت هذه العلاقة التي كانت تحكم المتعلم والمعرفة في التغير والتحول بفضل الثورة الصناعية والتطور الهائل في الاتصال والإعلام، واخذ التركيز على التعليم أقل، والتركيز على التعلم أكثر وتضاءل لعب دور الوساطة التي كان يقوم بها المدرس بين المعرفة والمتعلم، بحكم هذه التطورات، ولعل هذه التحولات التقنية، والاقتصادية، والاجتماعية التي يعرفها العالم اليوم، والتي ألقت بظلالها على المدرسة جعلت البيداغوجيا الكلاسيكية العامة تفقد مكانتها، لتحل محلها نماذج ومقاربات بيداغوجية أخرى كالنموذج السلوكي والمقاربة بالأهداف.